الارجنتين فانّ بعض الفوضويين اقلقوا راحتها في حاضرة البلاد

امّا البرازيل فثار فيها قسمٌ من مجريتها وتهدّدوا ريو دي جانيرو ولم يخلدوا الى السكينة الّا بعد ان نالوا الامان التام . وكادت العلاقات الوديَّة بين البرازيل والكرسي الرسولي ان تنقطع بسبب تجاوز الحكومة حدودها في بعض الامور الدينيَّة لكنّ الامل معقود بقرب اتّفاق الجانبين . وقد التجأ اليسوعيُّون البرتغاليُّون بعد نفيهم من وطنهم الى البرازيل حيث رحّب بهم الاهالون وفتحوا مدرسةً كبيرة في مدينة بايا (Bahia)

وفي اوستراليا كانت امورها في خطة النجاح . وانّما فقد الكاثوليك زعيمهم العظيم الكردينال موران (M^gr P. F. Moran) الذي احسن تدبيرهم منذ جلس على كرسي اسقفيَّة سيدناي سنة ١٨٨٤ وكان الحبر الاعظم لاون الثالث عشر رقاهُ الى منصب الكرادلة سنة ١٨٨٥ وتقدَّمت الكثلكة في عهده تقدُّماً قلَّما يُرى نظيرهُ

النصرانيَّة وآدابها
بين
عرب الجاهليَّة

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الباب الثامن

النصرانيَّة في الجزيرة

تتبعنا آثار النصرانيَّة بين العرب في الجاهلية على حدود بحر فارس ثم في جهات العراق ورأينا ما خلفتهُ لنا التواريخ من اخبار الدين المسيحي في الممالك الثلاثة الكبرى التي اقتسمت جزيرة العرب اعني دول الغساسنة والتنوخيين والمناذرة . وحتى الآن لم نستوفِ مآثر نصارى العرب على التخوم الناصلة بلادهم عن البلاد المجاورة فممّا لم نذكرهُ حتى الآن السهول الواسعة والبقاع الرحبة الممتدَّة من جهات الموصل الى مجرى الفرات المتوسطة بين الارمن والشام . فهناك مفاوز متسعة يسقيها النهران

الكبيران دجلة والفرات مع عدّة انهار تنصبّ فيها اخصبها الخابور. فتلك البوادي التي كانت الامم النديمة تتزاحم في ملكها لخصبها العجيب ووفرة خيراتها وسعة غلّاتها ازهرت فيها مدن عديدة وحواضر ممصّرة لم يبقَ من اكثرها اليوم غير اخربة مهيبة او مدن ثانويّة تنبئ بعظم مقامها في القرون الغابرة كنصيبين ودارا ودُنَيسر وآمد وميافارقين وسعرت وماردين والرقّة ورأس العين وقرقيسيا والرها التي يُطلق على مجموعها اسم الجزيرة

فتلك البلاد المتدفقة بالنعم الزاخرة بالخير قد احبّتها منذ سالف الاجيال قبائل العرب سواء كانوا من اهل الحضر او من اهل المدر اذ كانوا يجدون فيها ما يصلح ماشيهم الساذج ولرعية مواشيهم فيتقارن اذا شاءوا من الارياف الى البراري ليس من يتعرّض لاستقلالهم او يتداخل في امورهم غير شيوخهم وامراء عشائرهم

ومما يدلّ على انتشار القبائل العربيّة في الانحاء المذكورة أعلامها المشهورة الى قاطنيها كباعربايا وجزيرة ابن عمر وديار ربيعة وديار بكر وديار مضر وغير ذلك ممّا ينوّه اسمهُ باصل سكانه. فباعربايا او بيت عربايا اسم لثلاثة اماكن احتلّها العرب اخصها مدينة كانت قريبة من نصيبين. وجزيرة ابن عمر وعلى الاصحّ « ابني عمر » هي مدينة موقعها على دجلة يدعوها الكلدان بازّبدى ثم نُسبت الى ابني عُمَر وهما على ما روى ابن خلكان « اوس وكامل ابنا عُمَر بن اوس التغلبي »

امّا ديار بكر وديار ربيعة وديار مُضر فقد احسن في وصفها ياقوت في معجم البلدان (٢ : ٦٣٦ — ٦٣٨) فقال عن ديار بكر :

« ديار بكر هي بلاد واسعة تُنسَب الى بكر بن وائل . . . بن ربيعة بن نزار بن معدّ ابن عدنان وحدّها ما غرّب من دجلة من بلاد الجبل المطلّ على نصيبين الى دجلة ومنبعُ حصن كيفا وآمد وميافارقين. وقد يتجاوز دجلة الى سعرت وجزيرة ابن عمر وما تخلّل ذلك من البلاد ولا يتجاوز الجبل »

وقال عن ديار ربيعة :

« ديار ربيعة بين الموصل الى رأس عين ودُنَيسر والخابور جميعهُ وما بين ذلك من المدن والقرى ورُبَّما جُمع بين ديار بكر وديار ربيعة وسُمّيت كلها ربيعة فغلب كلهم ربيعة. وهذا اسمٌ لهذه البلاد قديم كانت العرب تحلّهُ قبل الاسلام في بواديه واسم الجزيرة يشمل الكلّ »

وقال في ديار مضر :

« ديار مُضر هي ما كان في السهل بغرب من شرقيّ الفرات نحو حرّان والرقّة وسُمَيساط وسروج وتلّ مَوزَن »

امّا القبائل التي كانت تسكن في تلك الجهات فكانت من ذرّيّة نزار بن معد كاياد بن نزار بعد فرارهم من تخوم العجم ومُضر بن نزار منهم بنو النمر بن قاسط ولا سيما بني ربيعة منهم خصوصاً بنو تغلب وبني بكر وبني شيبان. قال ابو محمّد الحسن الهمداني في كتاب صفة جزيرة العرب (ص ١٣٢ ed. D. H. Müller) يذكر منازل تلك القبائل :

« ثمّ تأتي الفرات من بلد الروم شاقّ في طرف الشام على التواء الى العراق فربيئة ديار كلب وشرقيّه ديار مُضَر (فيها) من الدين الرافقة وهي على شطّ الفرات يسكنها اخلاط مضر. وحرّان موضع آلة القياس مثل الاسطرلابات وغيرها . . . لبني تميم ومن يخالط بني سليم. والرقّا لبني سُلَيم وكنيسة الرها التي يُضرَب بها المثل. ومَنبِج واسامور لبني عُقَيل اعلاه ولبني مالك وبني حبيب وبطون تغلب الباقي. ثم آخر ديار مضر رأس العين للنمر ابن قاسط

(ديار ربيعة) ومن خلفها. اوّلها وآخر ديار مضر رأس العين. ثم كفرتوثا جثم عن اياسرها مارّة من موضع الجنّات المضروب بها المثل وهي تتلّ على دارين ثم نصيبين . . وهي دار آل حمدان بن حمدون موالي تغلب. ثم نصيبين الى اذرَمسة والشَعيبة مسيرة يوم وعن ايمن ذاك جبل سنجار جبل شراة بين تغلب والشراة منها بنو زهير وبنو عمرو ثم من ايمن ذلك دُهنا الى رحبة مالك بن طوق وقرقيسيا ثم ترجع الى اذرمة الى برقعيد وهي ديار بني عبد من تغلب . . . ثم منها الى بلَدّ وفيها شراة وغير ذلك الى حدّ الموصل. وان اردت بعد ارض الموصل مررت بتكريت وكان (نهر) الثرثار عن يمينك. واكثر اهل الموصل مذحج وهي رَبيعة فان تياسرت منها وقعت الى الجبل المسمّى بالجودي يسكنه ربيعة وخالفهُ الاكراد وخلف الاكراد الارمن. وان تيامنت من الموصل تريد بغداذ لقيتك المدينة وحبل بازمأ يسمّى اليوم حمرين. . ثم السنّ وانبرازيج بلاد الشراة من ربيعة ثم يقع في جبل الطور البري وهو اوّل حدود ديار بكر وهو لبني شيبان وذوجا لا يازجهم الى ناحية خراسان الّا الاكراد »

فاذا عرفت حدود الجزيرة والقبائل العربيّة المنتشرة فيها بقي علينا ان نبين ما كان للنصرانيّة من النفوذ بينها فنقول :

انّ اوّل برهان يثبت دخول النصرانيّة بين عرب الجزيرة ما اصاب هذا الدين من الانتشار السريع الغريب في ما بين النهرين كما تصرّح به كل الآثار التاريخيّة والكتابية والبنائية كالكنائس الباقية الى يومنا الراقية الى القرن الرابع والخامس

للمسيح وكصوامع الرهبان ومغاورهم. فلا يقبل العقل انَّ عرب الجزيرة لم ينالوا من الدعوة المسيحية حظّهم كما اصابهُ اخوتهم في بادية الشام وفي اليمن والعراق ولهم في شظف عيشهم وسلامة طباعهم ما يمدّ قلوبهم لقبول ذلك الزرع الالهي الذي اتى به ابن الله الى الارض وبذرهُ في التربة الجيدة ولاسيما بعد ان عاين اهل الجزيرة مع العرب (اعمال ٢ : ٦—١١) العجزات التي جرت يوم حلول الروح القدس في اورشليم

ولنا دليل ثانٍ على تديّن عرب الجزيرة بالنصرانية بعد نبذهم لشرك الوثنية ألا وهو الغيرة الملتهبة التي كانت في قلوب الرسل والدُعاة الاوّلين النصرانية فانَّ بعضهم بلغوا الى اقاصي الارض كما رأيت فما قولك بالبلاد المجاورة لليهودية التي كثرت فيها المعاملات مع فلسطين منبع الدين المسيحي

ثالثاً وان استقينا التواريخ القديمة والتقاليد المحلية والطقوس السريانيّة وجدناها كلها تتفق على ذكر دعوة العرب الى الايمان بالمسيح كدعوة بقيّة اهل الجزيرة. قال عبد يشوع الصوباوي في ذكر ادّي رسول الجزيرة ما تعريبهُ : « قد اقتبلت الرها ثم نصيبين وسائر العرب وكل تخوم الجزيرة الكينونة المقدس من ادّي احد السبعين تلميذاً ». وقال ايليّا الاسقف الدمشقي يذكر ادّي وتلميذهُ ماري : « وكان الداعي والمنصر والمتلمذ والمدبر بالجزيرة والموصل وارض بابل والسواد . . . ونواحي الاعراب من التلاميذ السبعين ادّي وماري (١) ». وقال ماري بن سليمان (ed. Gismondi, p. 2) : « وتوجه أخي وماري (تلميذا ادّي) الى نصيبين واعمدا اهلها وانفذ ماري الى الشرق وأخي الى قردى وبازبدى ثم توجّه ادّي الى الشرق وبدأ بناحية حزّة والموصل وباجرمي وعاد الى مدينة الرها واستناح فيها بعد ١٢ سنة . . . » وقال ايضاً : « وادّي قصد مع أخي ومار ماري بلاد الرها والموصل وبابل والشمال والجنوب وبوادي المغرب (والصواب: العرب) ». وجاء في اخبار فطاركة كرسي المشرق لعمرو بن متى الطيرهاني (ص ١ ed. Gismondi) مصرّحاً : « ثم انهُ (اي ماري) بادر الى قاماذ جميع نواحي ارض بابل والعراقين والاهواز واليمن والجزائر وبلاد العرب سكان الخيم ونجران وجزائر بحر اليمن »

ويمكننا ان نضيف الى هذه الشهادات ما رويناه سابقاً عن تبشير عرب العراق

(١) اطلب المكتبة الشرقيّة للسمعاني (٤ : ٥—٢٥)

فانَّ الشواهد المروية هناك عن الرسل وتلاميذهم تصحُّ في عرب الجزيرة. ومثلها اقوال المؤرخين في بشارة الرسول برتلماوس للعرب. وكذلك ورد في السنكسارات القديمة وفي خطط المقريزي (١ ان يهوذا الرسول المعروف بتداوس «كرز في سورية والجزيرة»

رابعاً وان تخلَّينا عهد الرسل الى القرن الثاني والثالث للمسيح رأينا بلاد الجزيرة زاهرة بالدين النصراني. ففي الرها كانت الترجمة الاولى للكتب المقدَّسة الى السريانيَّة وهي الترجمة المعروفة بالبسيطة في اواخر القرن الاوَّل للمسيح او اوائل الثاني (٢ وهناك تولى طاطيانوس تلميذ القديس يوستينوس الفيلسوف الشهيد في القسم الثاني من القرن الثاني تنسيق الاناجيل الاربعة برواية واحدة تعرف بالدياطساورون (٣. وهناك تنصَّر الاباجرة ملوك الرها سواء يُسلَّم بصحَّة المكاتبة بين السيد المسيح والابجر المعروف باوخاما كما تعتقدهُ الكنائس السريانيَّة او يؤجل تنصرهم الى ايام كراكلَّا برجوع ابجر التاسع (١٧٩–٢١٤) وهناك عُقد مجمعان واحد ذكرهُ اوسابيوس في تاريخهِ (ك ٥ ف ٢٢) نحو سنة ١٥١ للمسيح التأم فيهِ ١٩ اسقفاً للنظر في امر الفصح وتعيين يومهِ (٤. والآخر عُقد بعدهُ بزمن قليل النظر في اقوال بعض المبتدعين كتاودوطس وابيون وارتيمون حضرهُ ١٤ اسقفاً (٥ فكفى بعدد هؤلاء الاساقفة دليلاً على انتشار الدين المسيحي في زمن قريب من رسل الربّ يؤيد ما جاء في تقاليد كنائس الجزيرة عن اسماء عدَّة اساقفة رعوا المؤمنين قبل القرن الرابع في مدن عديدة كنصيبين وبازبدى (جزيرة بني عمر) وآمد والرقة وعلم جرًّا

اما كون العرب هناك كانوا من جملة المتنصرين فيشهد عليهِ ابن ديصان الذي عاش في الرها (١٥٤ — ٢٢٢) فيذكر اهل الرها واهل حضر (٦ وكانوا من عرب قضاعة عليهم ملكٌ يتخذ ملكهُ في انحاء الجزيرة فقال عنهُ عديّ بن زيد:

---

١) اطلب الخطط طبعة بولاق (٢: ٤٨٢)

٢) راجع ويسمان (Wiseman: *Horæ syriacæ*) وتاريخ الآداب السريانيَّة لزيّت (ص ٢) ٣) اطلب المشرق (٤: ١٠٠)

٤) اطلب مجموع المجامع لمانسي (Mansi, *Collectio Conciliorum* I, 719 et 727)

٥) فيهِ Ibid. ٦) اطلب كتاب الشرائع لابن ديصان (Bardesane: *le Livre des Lois des Pays*, p. 59)

واخو الحضر اذ بناهُ واذ م دجـلةُ تجبى اليه والخابورُ

خامساً ثم جاء القرن الرابع والخامس فكانا زمن انتصار الدين المسيحي في العالم الروماني فظهرت النصرانيَّة في كل رونقها وجلالها في انحاء الجزيرة فاستقت القبائل العربيَّة هناك من مواردها العذبة وكان ذلك على الاخص بواسطة الرهبان والسيَّاح الذين اختاروا بلاد الجزيرة ليقدّسوها بفضائلهم كما تقدّس سيَّاح مصر بلاد الصعيد. وكان منشئ العيشة الرهبانيَّة في الجزيرة القديس اوركين من تلامذة القديس انطونيوس الكبير. وقد اجمع المؤرخون الكلدان والسريان انهُ قدم من مصر في العشر الثاني من القرن الرابع وسكن في جبل نصيبين المسمَّى جبـل الإزل وبشَّر بالايمان في نصيبين وعمَّد عاملهـا واولاده وطاف بلاد قردى وبازبدى وجهات نصيبين حيث كانت قبائل العرب وتلمذ الناس وبنى الاديرة منها دير الزعفران مقام بطاركة اليعاقبة في يومنا وهو قرب ماردين وتتلمذ لهُ عدد من الرهبان. وكانت وفاة مار اوركين في نصيبين

ويؤيد شهادة السريان المؤرخ اليوناني المعاصر سوزومان (١ في الكتاب السادس من تاريخهِ (الفصل ٣٢) فقال عنهُ انَّ اوركين وهو دعاهُ اونس (Aônes) جارى القديس انطونيوس بنشرهِ المناسك الرهبانيَّة في الجزيرة وفي تخوم العجم وقال عنهُ انهُ سكن في نواحي نصيبين في فادانا (Phadana) ثم انتقل الورخ الى ذكر تلاميذهِ او المتشبهين بسيرتهِ فذكر في جبل سنجار باتاوس واوسابيوس وبرجس وكالس وآبا وامازر الذي سُقف بعد ذلك على نصيبين وعبدالله وزينون وهليودورس وذكر في حرَّان اوسابيوس الجبيس وبروتوجان الذي تولَّى الاسقفيَّة على حرَّان بعـد بيتوس

وذكر السريان من تلامذة مار اوركين القديس شليطا الراهب الذي بشر بالايمان في بازبدى ثم سابا الذي عمر عناك ديراً ويوحنـا الذي كان يطوف القرى وينذر الناس وآخا اخا يوحنـا (٢. ثم تبعهم آخرون كثيرون وعمَّروا الاديرة العديدة حتى صارت بعض انحاء الجزيرة كمدن رهبانيَّة لا سيما الامكنة القفرة والجبال كالجبل

---

١) اطلب مجموع الآباء بين (Migne; PP. GG. LXVII, 1391)

٢) اطلب تاريخ مارى بن سليمان (ص ٢٦) والمكتبة الشرقية للسمعاني (٨٦٥:٤)

المعروف بطور عابدين في شمالي شرقي ماردين وجبل الازل السابق ذكره وجبال الموصل والرها. وزعم بعض المؤرخين انّ بين هذه الاديرة ما كان يبلغ عدد رهبانه عدّة الاف منها للرجال ومنها للعذارى (١ وقد بقي من هذه الاديرة الى يومنا آثار ظاهرة وبقايا معتبرة. فانّ حضرة القسّ اسحاق ارملة وصف في مقالة نفيسة الاديرة التي تُرى آثارها بقرب ماردين فقط (اطلب المشرق ١٢: ٧٦٠)

واشتهر مع هؤلاء كثيرون من كبار المعلمين والاولياء كالقديس يعقوب النصيبيني والقديس افرام والاساقفة القديسين برسيس واولوجيوس ورابولا والقديس بوليان سابا

فهؤلاء كلهم او اكثرهم اختاطوا بعرب الجزيرة ونصروهم ودعوهم الى الدين المسيحي. وكانت سيرتهم الملائكيّة تؤثر في البادية فكانوا يقصدونهم ويلتمسون صلواتهم ويطلبون منهم شفاء امراضهم فينالون غالباً ملتمسهم ويقبلون دين المحسنين اليهم فيعتمدون. وذلك منذ القرن الرابع كما تشهد عليه نصوص المؤرخين حتى امكن السمعاني ان يقول في مكتبته الشرقيّة (٤: ٥٩٨): ان العرب الذين كانوا يسكنون في الجزيرة ونواحي الكلدان والخليج العجمي عدلوا الى الدين المسيحي قبل السنة ٣٢٠ المسيح بهمة اساقفة الرها والمدائن والرهبان المنتشرين بينهم

وممّن شهد على تنصر العرب المؤرخ اليوناني سوزومان فقال في تاريخه (ك ٦ ف ٣٨) عن الرهبان: «انّ هؤلاء النساك قد جذبوا الى دين المسيح كل السريان تقريباً وعدداً عظيماً جداً من الفرس والعرب بعد ان انقذوهم من عبادة الاصنام». وقد مرّ بك ما رواهُ تاودوريطس عن القديس سمعان العمودي وقبائل العرب التي تنصّرت على يديه. وكان كثير منها تقاطرت اليه من العراق واليمن فما قولك بالقبائل التي كانت قريبة منهُ كقبائل الجزيرة

سادساً وكما شهد كتبة السريان واليونان على نصرانيّة قبائل الجزيرة كذلك وافقهم كتبة العرب على هذا الامر كما سترى (لهُ تابع)

---

١) اطلب تاريخ العيشة الرهبانية تاودوريطوس Theodoreti: *Hist. religiosa*, c. 30